التفسير

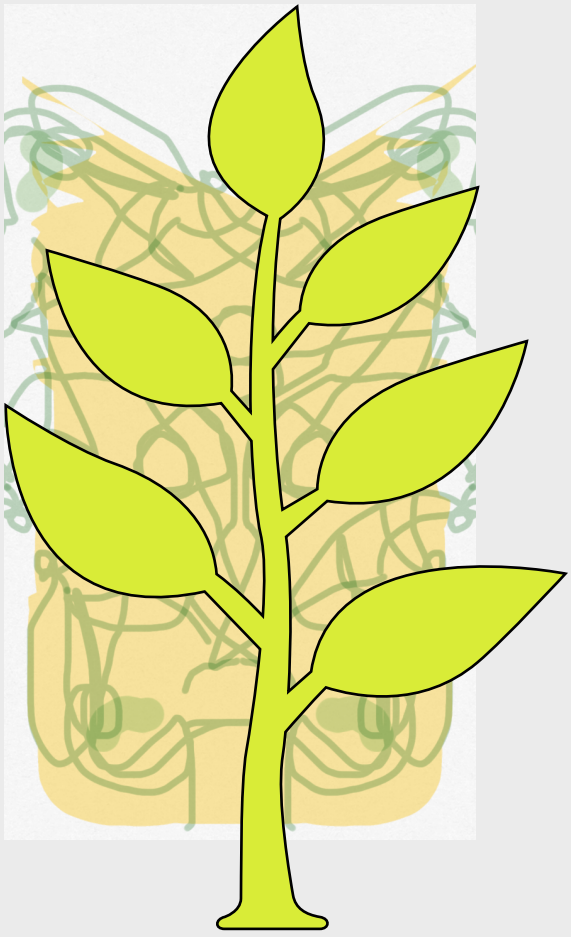

والتأليف

من

التراث الاسلامي

أحمد حيدر

باحث وكاتب لبناني

له عدة مؤلفات :

الاسلام والهوية

مناطق اخرى وقصص

العجائز والمرح

نقطة سوداء

L1 الوان للنشر الالكتروني
Beirut .lebanon
facebook.com/l1prod
detarxx@icloud.com

فهرس الكتاب

1. معنى الحياة
2. شعوب وثقافات
3. التراث الاسلامي
4. التفسير
5. التأليف
6. الرأي العام
7. بتصرف

خاتمة

مقدمة الكتاب

كان لا بد من تفسير الاشياء والظواهر ، العوالم والعوامل للانسان لكي يفهمها ، ومن يريد فهم الحياة عليه تفسير ظاهرها اولاً ثم يكون عليه واجب التأليف في حالة الاجتهاد، والتفسير والتأليف هما ركيزتا التراث الاسلامي ومنهم صعد العلماء الان ان يرفعوا الشعوب والامة الاسلامية الى مقدرة علمية وعملية لا يستهان بها فهم بذلك قد طبقوا المنهج النظري في التفسير وطبقوا المنهجي التطبيقي والمادي في التفسير ، وقد حصل هذا التجاوز في القرون الوسطى عقب ظهور علماء وفلاسفة الاندلس ، ومن يقرأ في سير العلماء والفقهاء المسلمين يرى وينظر كيفية التعامل مع هذين المبدأين الذين تكلم. عنهم الله في القرآن حينما قال قل سيروا في الارض فإنظروا كيف بدء الخلق وهذا يدل على المبدأ التفسيري وفي اية اخرى قال وقل اعملوا فسيرى الله عملكم والمؤمنين ، كناية عن تطبيق الشريعة الاسلامية اولاً ومن ثم التفاعل مع الظاهر والباطن على اساس تأليفي او مجرد تفاعلي ، كمطي البهائم او استعمال الالات .

ومن هنا جاء الاسلام بمعنى التفسير الذي لم يسبقه عليه دين اخر ، لأن فهم القرآن يتم عبر التفسير والتأليف جاء بمعنى ان يؤلف الاعيان احاديث ويوثقها ويعمل بها ومن هنا ارتبط التفسير بالتأليف في الثقافة الاسلامية ولكن يختلف المفسر عن المؤلف في كثير من المواضع كالفرق بين المجتهد والمقلد او المرجع .

المفتاح

جلس شيخ المعلمين ابا محمد المهدي الى جانب في مدرسة تلاميذه الكتاتيب في محافظة نائية من مناطق خراسان ، وكان يُعرف عن ابا محمد انه صارم ولا يحب المزاح ، يهلم كل ما يعرفه ويصرح امام تلامذته بأنه الوحيد الذي يعرف هذه المعلومة او تلك المسألة ، كان جلوسهم ذاك النهار لا لشيء سوى للتعلم وكسب المعرفة الدينية ، فسأله احد تلاميذه عن جدوى وماهية التأليف في الفقه الاسلامي او في الادب عامة وسأله اخر وكان ممتعضا من التأليف ويحب الكتاب المقدس اكثر من غيره اي القرآن عن معنى التفسير ومداخله وكيفيته ،

فأجاب ابا محمد :

١ - معنى الحياة

من اسس العلم وتطبيقه معرفة الحياة وللحياة معنى ولو كانت فقيرة ام غنية ضعيفة ام قوية ، فذلك ان معنى الحياة يُفسَّر بأنه حصيلة ما يجب ان نقوم به وما قكنا به او على ضوء بعضهم البعض اي ما كان بالنسبة الى ما سيكون وهذا يعرف ظاهراً بالتأمل او بالتفسير وهو ربط علائق الاحداث ببعضها لمعرفة ما معنى الحياة او ما يجب ان تكون تأليفاً .

ومعنى الحياة في الفلسفة الاسلامية وهو ان يكون الانسان اما شكوراً اما كفوراً اي كافراً ، فذلك ان الدين الاسلامي قد وضع ميزان للانسان وهو بمعنى تفسيري لحياته ومعناها بالنسبة للآخرين او بالنسبة له ، فما معنى الحياة للانسان المسلم ، اخو السير مع الدين حتى النهاية ام التفكر والتأمل ووضع الضمير موضع العمل اكي لا يخطأ الانسان ولا يهوي الى مصاف البهائم بحيث تصبح حياته سطحية وغير مفيدة للآخرين او للانسان الاخر ؟؟!

ومن فهم معنى حياته اصبح سعيداً اذ ان الفهم للوقائع والتصرفات والافعال وفهم المشاهد التي تمر على الانسان كفيلة بأن تجعل منه انسانا سويا يتفاعل مع الاحداث بحكمة وعقلانية وهذا الفهم لمعنى الحق بالحياة او الحرية في التعبير وابداء الرأي او اعتناق مذهب ما او تصور مريح للعقل انما هو ينبع من داخل الانسان ويتطلب معلم دائم له او مدير اعمال كما يقال في لغة الاعمال وهو الذي يسهر على تطبيق السنة جيدا وهو الذي يجعل من الانسان الادامي شخص متحضر يعطي الحياة مهنتها ومعناها ويلتزم بأمور الجماعة .

اما معنى الحياة الحقيقي فنجده غي العمل الدؤوب والمثابرة في ان تعطي دون مقابل وان لا تستأثر بنفسك لنفسك، ان تكون روحك طواقة للعمل والتغيير ولا تأخذ دون ان تعطي ، ان تكن المفكر دائما الذي يقوم بالاعمال الجديدة سواء كانت صح ام خطأ وان اعجبت الاخرين ام لا ، ان تستمع الى ذوييك ولا تتكبر عندما يمدحونك او يقدمون لك اطراءاً معين ، كل هذا و المعطي لك كي تعيش حياة ذات معنى سعيدا بنفسك ولا يتمنى اكثر .

ومن معاني الحياة هي عيش المحبة والاستفادة منها في سبيل العيش الكريم اذ ان الديانات الاخرى ومنها المسيحية قد تعترف برفض المحبة في سبيل العقل ولكنها في الظاهر والباطن مع محبة الله للانسان ولكن كان من المشكلات الاساسية وهي حل مشكلة رفض المحبة وكان عندنا عدة

اجوبة على ذلك فمنهم قد رد هذا الفعل الى عدم توافق المحبة مع الشكل الطبيعي ومن الاخر قد اعتبرها رفضاً للمحبة في سبيل الثورة والعصبية الآنية ومنهم اعتبرها فطرة طبيعية لدى الفرد اي انه "دلع صبيان"
وهكذا فعلى كل من يقدم المحبة في سبيل معنى الحياة ان يأخذ بالاعتبار كل جوانبها ومنطقها والا سوف يقع في شرك الرفض او لا معقولية .

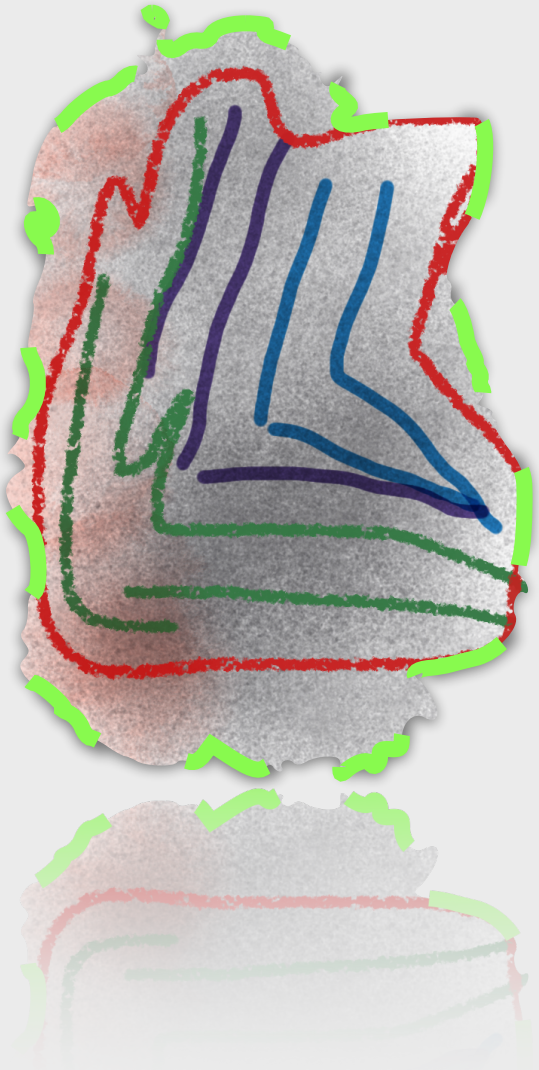

وما ان انه حديثه حتى سأله احد التلاميذ عن الشعوب والاخرى وما تعني الثقافة ، فأجاب :

٢- شعوب وثقافات

عانت شعوب كثيرة في العالم القديم والحديث من ازمة تفسير لظواهر طبيعية ومن اجل ذلك كان الكهنة الذي كان عملهم هذا التفسير لبعض الظواهر ومن الافكار التي كان على الكاهن تحملها وهي كثيرة ، وهي في تفسير الكتاب والعمل به فكان لكل شعب من الشعوب كتابا ومن هذا الكتاب كان لا بد من اخذ العلوم والفنون ، ولا شك بأن هذه الشعوب كانت كالامة الاسلامية في مضمونها تطمح الى الرقي والى تطبيق النظام والخروج من الجهل الى العلم والعمل ، ومن يتتبع مسيرة الشعوب يجد بأن مشكلة التفاعل مع الوضع التي كانت تعيشه تحدد مستقبلها وكيفية ثقافتها والعبر التي تأخذ بها ، ومن اجل ذلك كانت التفسير دور هام في الحياة العملية الشعوب والثقافات فنجد شعبا ما يفسر البرق والرعد حسب مقتضاه ويفسر ظواهر اخرى ايضاً، ومن اجل ذلك جلت الكتابة في الدور الاول لتسجيل التراث والعمل به وحفظه ، كانت الفكرةًهي التي تحرك الانسان بما زالت وكانت الاولوية للتجربة قبل التطبيق ، فكم من امة وشعب جعلت عبادة الالهة في دينها وكانت التعبد انذاك بتأسيس وبناء المعابد لدفع الشر والظلم عن الشعوب ، والتعبد كان لمعرفة اجوبة عن اسئلة لها علاقة بالناس وبالأخص الشباب فكانت الشعوب الاولى اول من اعتنق فكرة " ختان الذكور " بسبب عدم النشوز ومنهم قد ود السبب الى ان الشاب يجب ان يهتم بنفسه كأمير وكانت الشعوب الاولى تقوم بختان الملوك في سن معينة .

ومن الذي يحدد كيف يعيش شعب ما ، وما هي ثيمة عمله المشترك ومن الذي يحدد المعايير الثقافية او الزمنية لشعب دون اخر ، اهو الوطن الاسلامي الذي نعيشه انها الارض ام النخب الثقافية ، وهكذا فإن

عصما في تفاصيل حياة الشباب الاسلامية لوجدنا انها بعيدة كل البعد هن ما يحدده الدين او النسب الثقافي في المجتمع انه شعب قائم على الثقافة المبتذلة والترفيه بلا حد وهذا شهب كثير ما يضمحل في النوائب والمصائب لأنه لم يتعود علو قسوة الحياة والعقد التي يحلها العالم الاول من امم متحضرة .

وكان للرسائل الدور الاهم في تغذية روح التأليف ان كان الشخص او الامة مرسِلة

وكان التفسير عامل قوة في عملية فهم الرسائل المتلقاة من شخص اخر ، لطالما كانت الرسائل المادة الاي تغذي الباطن بما فيها من منطلقات او اسباب او عمليات بسيطة تعكس واقعاً ، ولقد اهتم القدماء كثيرا بدراسة الرسائِل باعتبارها مادة ضخمة ومن يدرسها فإنه يفهم التاريخ والجغرافيا لشعوب وثقافات غابرة .

وتتميز الشعوب بقربها من بعضها البعض وبتكاتفها من اجل انجاح حياة مواطنيها من تعليم وتربية وزواج وعمل ، ويُعرف المجتمع السليم بهكذا نمط من التراث التقليدي ويكون كل الناس تعرف بعضها وتشتري وتبيع على اسس ومناهج معروفة ،

٣- التراث الاسلامي

وجاء السؤال من التراث الاسلامي . ايهما أفضل ان نسأل بكثرة او نصمت لبرهة ، وهل للكعبة رب يحميها ام ان كثرة الاسئلة والشك يجعل الأمة مشوشة والتراث مليىء بالفوضى ؟
كانت هذه الفكرة الرئيسية التي بنيت عليها هذا الفصل البسيط وغير الصعب في فهمه وسنبدأ بالفكرة الاولى وهي هل السؤال جزء من التأليف ام من التفسير وقد تناقضت الإجابات حول هذا المبدأ اذ ان منهجية الاسئلة هامة تأتي للاستخبار او الاستفسار اي بمعنى تفسير الظواهر والعلوم على ارض الواقع ، وهذا السؤال الذي بنيت عليه العلوم بمعنى " سؤال الدين " لا يتناقض مع سؤال العلم اذ ان معظم الفلسفة الحديثة قد تبنت الاجابة عن هذين السؤالين لرفع الغبن والجهل عن المجتمع وعليه لا يسعنا الا ان نجيب عن السؤال الاول وهو سؤال الدين ، فما هي حياتنا على ارض الواقع وماذا تعني دينيا وكيف يمكن ان نفسرها ؟

لا تفسير دون اسئلة

وهكذا فإن التفسير يحتاج لسؤال يضع المعضلة في مكانها ، بمعنى اخر ان اي ظاهرة موجودة نحتاج ان نسأل بعض الاسئلة حولها ونفسرها بالشكل الذي يظهر مكامنها وظروفها ومكانها وزمانها ، وهذا الطريق هو منطقي ولا يحتاج للذكاء في كيفيته بل يحتاج القليل من الفهم والتفهم وهذا التراث الاسلامي الذي مبني على البساطة وعرفة شخصياته انما هو نتاج تاريخ من المعرفة والتساؤل ، فهل تراث ما يعني ان يكون الانسان

ملتزم بسرد او بطريقة تجعله مختلف عن الاخرين وما سبب هذا الاختلاف ؟

لقد جاءت السنة النبوية وهي بالمعنى المعجمي "الطريقة " او العبرة لتجيب عن هكذا اسئلة ، والحوادث الاي تم تسجيلها وتدوينها في زمن تارسول والصحابة والائمة انما هي طرق مرسومة للامة الاسلامية بأن تقتدي بها وتمشي على منوالها

ولم يعرف المسلمين التفسير الا عن طريق معرفة وفهم القرآن الكريم اذ ان لصعوبة معانيه وكيفية تجميع ما يسمى بزبده او رسالته اجمع المفسرون على دواسة القرآن دراسة تاريخية تبدأ بأسباب النزول واين ؟ اي في مكة ام في المدينة وعلى هذا الاساس كان لتفسير القدماء الدور الاهم في ماهية فهمنا للقرآن بهذا الشكل وفي عصرنا الحديث .. ولو ان جاء احدهم وقرر دراسة القرآن دراسة منهجية تعتمد بالاصل على تسمية السورة وما هو مضمونها الاعم فإنه سوف يحقق نجاحا نوعيا وتغييرا جذريا في ارضية وجذور فهمنا للكتاب الكريم ، فأي كتاب كالقرآن الكريم يتوخى تعيير المجتمع والتعليم لأبناءه عليه ان يكون صاحب منهجية فعلية وليس استنباطية وعليه فقد اختلف المفسرون والمأولون حول كيفية فهم القرآن بصيغته الاصيلة .

ومن يريد ان يتعلم في التراث الاسلامي عليه ان يقرأ ويتعرف على القرآن والسنة ، وعليه ان يبدأ بالسنة ويمحصها ويعرف ما ترمي اليه وما يُفهم من احاديثها ومن ما تناقله المؤرخون وكتاب الاحاديث عن النبي والائمة والصحابة وكيف تعاطى النبي مع بعض المواضيع والمشاكل في عصره .

وهناك نقطة اخرى يجب اخذها بعين الاعتبار فلنأخذ القرآن الكريم مثالا وهنا السؤال : هل يستريح كل المسلمين لجميع تفاسير القرآن وهل قراءة القرآن تريح النفس كما يقال ام ان بعض التفسير يضمر بعض النقاط ؟!

التفسير

وفي اللغة العربية فسر اي وضح كلامه او فهّم ما يريد. ان يقوله والتفسير صيغة من الجمل والملافظ التي تساعد الانسان لفهم المعنى العام من الشيء الذي يراد تفسيره ، والاكثر شيء كان رائجاً كان تفسير القران الكريم ، الكتاب المقدس وهو كلام الله عز وجل للنبي محمد (ص) ولقومه خاصة بعد ان عبدوا الاصنام وكانوا من اكثر الامم جهلا وتخلفا سواء كانوا من المشركين او من اصحاب الديانات التوحيدية الاخرى ، فجاء القرآن تفسيرا لما هو سائد وتبيان له ..

وفي الافعال يقال فسر الفعل او فسر المنام ومعناه جعله واقعياً .. فالافكار تكون في الرأس وعندما يقوم بها الانسان تفسر ومن اهم امراض النفس التي تصيب الانسان مرض النقص في تفسير الاشياء والافعال وعدم وقلة المقدرة على جعل الاشياء تبدو واقعية تفسيراً .ومن هنا جاءت كلمة تفسير لتناقض كلمة تأليف التي هي اكبار لكلمة توليف الذي هو بالاصل افعال احيانا متناقضة وغير مفهومة للعقل اذ ان المرجع العلمي هو الوحيد الذي يستطيع توليفها وجعلها تبدو منطقية اي بلغة اخرى فإن التأليف يقوم على تفسير الظواهر ليجعلها عقلية ومن ثم يؤلف بها ما يشاء

وهكذا فإن التفسير قد كان له وما يزال الدور الاكبر في افهام الناس ما يرمي اليه الكتاب او القول ، وهو يقوم مقام اوجا ع الامور الى اصلها ليفهمها المرء دون تعب او كد ، ولقد نشط التفسير في تراثنا الاسلامي نشاطاً عارما في القرون الاولى لأن الناس كانت بأمس الحاجة الى تفسير لقول الكتاب المقدس والى تفسير السنة النبوية حسب ما يعقلها النخب المثقفة والمتعلمة انذاك ..

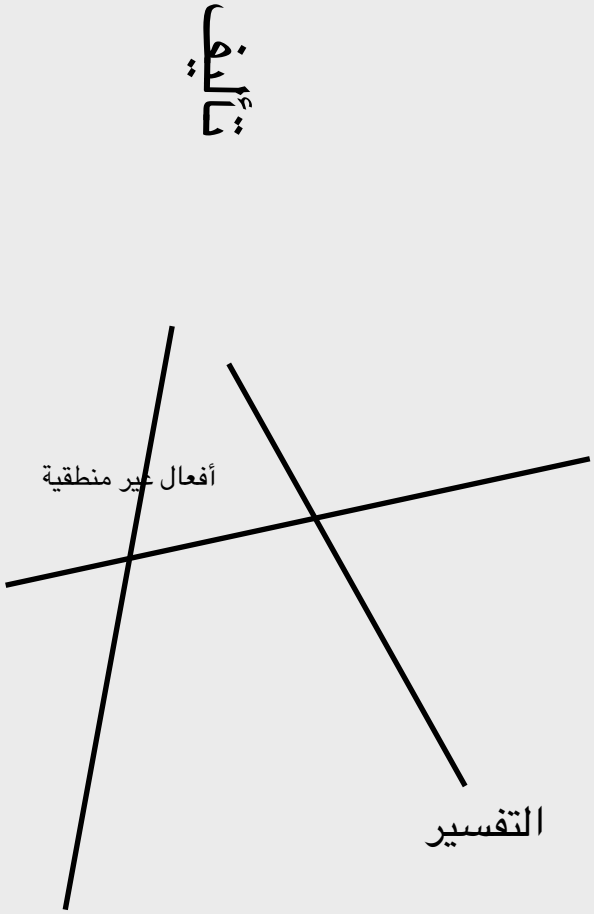
أفعال غير منطقية
التفسير

التأليف

ألف الشيء اي جعله ممكنا من الفكر الى الحس ، ويقال الف في الحديث او المنطق او الادب اي كتب ما فكر بطريقة تجعل القارىء تشعر بشيء من الخاصية لدي المؤلف ، والتأليف له انواع واساليب عدة منها ما هو طرائقي اي يتبع شكل كتأليف الرسائل او النصوص الاعلامية والبحثية وهي تتبع منهجية خاصة ومنها ما هو حر لا يلتزم المؤلف بما هو رائج او سائد وهذا ما يسميه البعض ابداع .

ومنهم من يؤلف وينسى ، اي يعتمد طريقة علمية في التفكير تؤدي به كتابة افكاره ومؤلفاته بعيدا عن ما يؤمن به او يصدقه انما فقط للتجربة او للتسلية ، اما التأليف في الفقه الاسلامي فمرجعه ما تداوله المحدثين وما يكون فيه فائدة للناس ، على ضوء القرآن والسنة النبوية الشريفة ، ونخص بالذكر هنا ما قد تم تأليفه في الحقبات الاسلامية التي كان فيها نور الاسلام يشع في تدوين الاحاديث او الكتابة في التفسيرات القرآنية .

الرأي العام

والسؤال الاخيرقد اتاح لشيخنا ان يستريح قليلا من هذه الاسئلة الصعبة ويأخذ نفسا عميقا وقال :ان من يحاول ان يفهم اللعبة عليه ان يعرف ان الفطرة ليست هي النظام انما ما يتم الاتفاق عليه من قبل الناس لذلك فإن الرأي العام في تفسير الاشياء والحكم على التأليف قد يكون معيار صادق لرؤية المؤلف وتلمؤلِف وهكذا..

بتصرف

في عالم البشر يأتي الفهم والتصرف في المرتبة الاولى للنجاح والانجاح والتفسير والتأليف وسائل اكي يفهم الانسان حياته ويتصرف من خلالها ليكون ناجحا في مجتمع متفهم ومتقبل لأفكاره وتصرفاته ،

خاتمة

وفي اخر حديثه انهى الشيخ كلامه بالصلاة على النبي
وطلب من تلاميذه ان يلتزموا بالرسالة الاسلامية
وبمدرسة القرآن التي تعلمهم وتزكيهم ووصاهم بعدم ترك الصلاة ولا الصيام وان يظلوا متمسكين ببعضهم على مبدأ الآية اعتصموا بحبل الله جميعا ، واثنى على اهل الملة ،

وهكذا يا رفاق قد تعلمنا كيفية التفسير والتأليف
عسى ان يكون الكتيب نافعا لنا ولكن
والسلام
احمد علي حيدر
٢٠٢٢